

الأبعاد السياسية للأساطير العربية الجاهلية

د. مصطفى الجوزو

ينبغي لنا أن نتعارف، ابتداءً، على أن معنى الأسطورة، في هذا البحث، لا ينحصر بالحكاية الوهمية التي ترمز إلى أشياء وأحداث حقيقية أصابها التحريف والتضخيم، والتي للآلهة فيها أدوار رئيسة، بل يشمل أيضاً كل مفهوم سياسي ذي عمق أسطوري أو خرافي، ولو كان كلمة مفردة، أو جملة مستقلة أو منتزعة من نص. وتعبير آخر: إنّ الأسطورة السياسية خطاب ذو مضمون سياسي غير عادي أو فوق إنساني، سواء في ذلك التعبير اللفظي أم العمل التشكيلي أم النشاط السياسي والاجتماعي.

وشيء آخر هو أننا سنعتبر كل أسطورة تتناول العرب قبل الإسلام أسطورة جاهلية، وإن كنا على يقين أحياناً من أنّ حاكمتها مسلمون. ونحن بالمقابل سنستعين بأساطير واضحة الانتماء للعصر الإسلامي، وذلك من أجل إتمام صورة ما قبل الإسلام.

انطلاقاً من هذين المتعارفين يلوح لنا أنّ الأسطورة السياسية الجاهلية تتجلى خاصة في عبادة الملوك والأجداد أو تقديسهم، وبالدور السياسي الذي كان للأصنام.

(١) عبادة الملوك

صحيح أنّ العرب لا يجعلون ملوكهم من نسل الآلهة، على غرار كثير من الشعوب القديمة التي تعتقد أن أول ملوكها كان نتاج زواج تم بين امرأة منهم وبين بعض الآلهة الذكور^(١)، لكنهم زعموا أنّ بعض ملكاتهم من نسل الجنّ، وذلك شأن بلقيس ملكة سبأ التي قالوا إنّ أباهما كان ملك سبأ، وأمها ابنة شيخ من شيوخ الجنّ^(٢). ولا بد أن نذكر، في هذا الصدد، أنّ بعض العرب قد عبدوا الجنّ، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في عدد من آياته، كما أنّ بعضهم زعم أن الله تزوج بنات سراة الجنّ فأنجب منهن إناثاً هن الملائكة، الأمر

الذي يسمح بإدخال الجنّ والملائكة في مجمع الآلهة الجاهلية^(٣). واستنتاجاً، فإن العرب قد مالوا إلى تأليه ملوكهم، مع الملاحظة أنّ بلقيس ملكة وليست ملكاً ذكراً كأولئك الملوك الذين ألّتهم الشعوب القديمة، ثم إن الدم الإلهي - إذا صح التقدير - أتاها من قبل أمها لا من قبل أبيها، ربما لأنها أنثى. إننا لا نعلم، على كل حال، إن كانت قرابة الرحم تمنح الألهانية^(٤)، أم أنّ الألهانية قرابة عصبية وحسب. إلا أنّ الذي لا خلاف عليه هو أنّ هذه الخؤولة تمنح بلقيس شيئاً خارقاً للعادة.

قصة بلقيس هذه ليست الشاهد الوحيد على ميل الجاهليين لتأليه ملوكهم، بل هناك فضلاً عن ذلك قرائن لغوية وعقائد جاهلية. ونشير بصفة خاصة لكلمة «الربّ» التي كانت تطلق على الله وعلى الملك في الوقت نفسه؛ يقول الحارث بن حنّظلة في المنذر بن ماء السماء:

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ
مَلِكٍ أَضْلَعُ الْبَرِّيَّةَ لَا يَوْمِ
مِ الْحَيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءِ
جَدُّ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءٌ^(٥)

وهذا الشعر يذكر بالآية القرآنية: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ التي هي وصف لله.

وممدوح الأعشى بطل أسطوري، يقول فيه:

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقَوِ
مِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
كما يقول:

فَتَى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا
أَوْ الْقَمَرَ السَّارِيَ لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا^(٦)

قد يقال إنّ هذا يدخل في باب المبالغة. صحيح؛ لكنها مبالغة لم تُقَلَّ في غير ملك، مما قد يعني أنّ لها أصلاً في عقائد الجاهليين. ولعلّ مما يؤيد رأينا تلك الأخبار التي تروي أنّ زهير بن جذيمة العبسي كان قد تلقّب بلقب الملك، وجبى الإتاوة من قبيلة هوازن، حتى إنّ تلك القبيلة كانت لا تراه، إلّا ربّاً^(٧).

وإذ إن كلمة «ربّ» تعني، في الأصل، السيّد أو المالك، فإنّ من المحتمل، في رأينا، أن يكون تأليه الملوك قد نشأ عن نوع من الإقطاع.

ونجد إلى جانب كلمة «الربّ» كلمة أخرى هي «ملك» وتبدو مرادفاً لها، فتطلق على الله، كما تطلق على ملوك البشر، وتتضمن معنى الامتلاك الذي يسمّى أحياناً «الملكوت»^(٨). وهذا قد يكون أوضح في الدلالة على المزج بين الآلهة والملوك. ولعلّ من المفيد هاهنا أن نشير إلى تلك الآيات القرآنية التي تتحدث بكرسي الله وبعرشه، واصفة إياه بأنّه «ذو العرش» و«ربّ العرش»^(٩). وقد توسّعت الأسطورة العربية في هذا المعنى شيئاً ما، فادّعت أنه عند تمام خلق الكون بدت السماوات والأرض وكل ما فيهن جزائر تحيط بها

البحار ، ويحيط الهيكل بها كلها ، وهو شيء من أطراف السماوات محقق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط ، ويحيط بالهيكل الكرسي ، وإن قدمي الله عزّ وجلّ لعلّي الكرسي ، والكرسي ، كالنعل في قدميه^(١٠) . فالله ، في هذه الأسطورة ، يتخذ صورة ملك من ملوك البشر ، لولا أنّه في السماء .

والكتابات الجاهلية من شأنها أن تؤيد أيضاً هذه الفكرة . ويظن بعض الباحثين أنّ « ملك » اسم من أسماء الإله « عثر » الذي ورد ذكره في كتابات عربية جنوبية كصيغة أخرى للزهرة . وقد أضيف إليه أحد الأشخاص فسمي « عبد الملك » و « عبد ملكا » في النصوص النبطية والآرامية . وكثر ورود اسم « ملك آل » أو « ملك إيل » في الكتابات الشمودية^(١١) . و « آل » أو « إيل » معناهما ، عند اللغويين العرب : الربّ أو الله^(١٢) . وهما ، في رأي بعض الباحثين ، اسم لإله الساميين المشترك القديم^(١٣) . ومعنى « ملك آل (أو إيل) » أحد اثنين : الملك الإله ، أو الملك إيل ؛ وفي كليهما معنى تأليه الملوك . كما نقرأ في الكتابات القتبانية عبارة : « مختن ملكن » . ويظن جواد علي أنها تعني : « الإله الملك »^(١٤) .

ووصف الصنم « ذي الخلصة » يؤكّد هذه العلاقة . فهو ، كما تذكر الروايات ، مروءة بيضاء ، نقش عليها صورة تشبه التاج . وقد كان بتالة بين مكة واليمن ، وتعبّدت له قبائل كثيرة من العرب^(١٥) .

وقد محضوا الملوك ميزة عجائبية هي أن دماءهم تشفي من داء الكلب وداء الحبل . ومما روه أنّ الزبّاء أوقعت بحضنها جذية الأبرش وأمرت بقطع ذراعه وإفراغ دمه في طست من ذهب ، وحرصت على ألا يضيع شيء من هذا الدم ، لأنها تريد للخبّل^(١٦) .

هذه المعطيات كلها تكاد تؤكد أن العرب ألّوها بعض ملوكهم . وإذا صحّ ذلك ، فإن عبادة الملوك عند العرب تبدو أحياناً مختلفة عنها لدى سائر الشعوب ؛ فالظاهر أن بعضهم لم يعبدوا الأجرام السماوية لذاتها ، بل لاعتقادهم أنّها تمثّل ملوكهم (وأجدادهم على ما سوف نرى) . والدليل على ذلك ورود اسم « ربّ شمس نمران » في الكتابات العربية الجنوبية ، وكان من ملوك سبأ وذي ريدان^(١٧) . فإما أن يكون هذا الملك هو « الآلهة الشمس » القريب في معناه من « الملك الشمس » الذي يبدو أن حمورابي البابلي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ أو ١٧٣٠ - ١٦٨٥ ق . م .) هو أول من دُعي به ، ويكون « رب شمس نمران » ، في اعتقاد أهل الجنوب ، من نسل الشمس ، من غير أن نستبعد تأثير يهود اليمن في هذه التسمية ؛ ومعروف أن هؤلاء كانوا يعتقدون بأن « شمشون » ابن « شمس » ، الإلهة الشمس عند الساميين^(١٨) . وإما أن يكون هو « ربّ الشمس » أي أنّه الإله ، والشمس خاضعة له ، فهو كملك أعلى مكانة منها .

ويندرج في السياقة نفسها لقب سبأ بن يشجب أحد كبار ملوك اليمن ، وهو « عب الشمس » . وقد فسر اللغويون هذا اللقب بـ « عدیل الشمس » ، راثنين ذلك إلى « حُسْن سبأ » المذكور^(١٩) . وسواء أكان هذا معنى الكلمة أم كان معناها ، في تأويل لغوي آخر ، « ضوء الشمس » ، أو « ضوء الصبح »^(٢٠) ، فإنّ ذلك يدل أن

بعض العرب كانوا يعتدون الملوك نظراء للشمس ، أو من أصل شمسي على الأقل ، أي بقول آخر نظراء للآلهة ، أو من أصل إلهي .

قد ينهض اعتراضان على هذا الاستنتاج :

الأول : أنه مبني على تأويل لغوي يُرَجَّح أنه من صنع المسلمين . والرد على هذا الاعتراض أنه ، إن صحَّ اختراع المسلمين هذا التأويل ، (وربما هذا اللقب أيضاً) ، فلا شك أن له أصلاً أقيم عليه ، وهذا الأصل على الأغلب ، شيء استمدوه من معارف قديمة متوارثة تجد صداها في ما قدمنا .

الثاني : أن هناك تفسيراً آخر لكلمة « عب الشمس » ، هو : أن « عب » ترخيم لـ « عبد » ، فأصل اللقب « عبد شمس » ، وهو مشهور ، وقد أضيفت « عبد » إلى اسم صنم جاهلي هو « شمس » الذي يزعمون أن سبأ بن يشجب كان أول من أضيف إليه^(٢١) . والرد على ذلك أن العكس هو الأرجح ، بمعنى أن المسلمين ألقوا أمامهم اسم « عبشمس » ونسبة « عبشمي » فلم يجدوا من تفسير لهذه الصورة اللغوية إلا ما يعرفونه من لغتهم المتأخرة فجعلوا « عبشمي » ، جزءين ، ووطنوا أن « عب » هو « عبد » ، وفاقاً لمفهومهم الإسلامي ، ولكثرة الأسماء المعبدة قبل الإسلام وبعده ، ثم سحبوا هذا التأويل على « عب الشمس » لقب سبأ بن يشجب .

يبقى أن نلاحظ هذه الصلة بين عبادة ملوك الجنوب وعبادة الشمس ، وهذا لا يحتاج إلى تحليل طويل ؛ لأن المعروف أن عبادة الشمس كانت سائدة في جنوب الجزيرة العربية لا وسطها ولا شمالها ؛ ولهذا ، فمن المنطقي - حين يوحد الجنوبيون بين ملوكهم وبين آلهتهم ، أو يقدمونهم عليها - أن يتم هذا التوحيد بين أولئك الملوك وبين الشمس ، علماً بأننا رأيناهم يوحدون أيضاً بين بعض الملوك وبين الزهرة أو إيل .

وكون العرب قد جعلوا للجنّ ملوكاً وأمراء ، قد يدعم رأينا بأنهم عبدوا الملوك ، وذلك لأن بعضهم قد عبد الجنّ ، كما سبق القول . ولعل الفرق ضئيل بين « الإله الملك » و« الملك الإله » . ومن الأساطير التي تجعل للجنّ ملوكاً وأمراء تلك التي تروي قصة سليمان وبلقيس ، وتشير إلى أنه ، بعد أن اتخذها زوجاً له ، أو زوجها لذي تبغ ، دعا « زوبعة » أمير جنّ اليمن ، فبنى لها « زوبعة » عدة حصون هي : « سلحين » الذي رفعه في سبعة وسبعين سنة ، و« صرواح » ، « مراح » ، و« بينون » ، « وهندة » ، و« هُيْدة » و« تلثوم » ، في مدد لم يذكرها الرواة^(٢٢) .

وكان الملوك على صلة مباشرة أو غير مباشرة بالجنّ ، على ما تحكيه الروايات ، وقصة خضوع الجنّ لسليمان مشهورة . وفضلاً عن ذلك نجد بعض هؤلاء يستطير ابناً من أبناء الملوك أو أسباطهم هو عمرو بن رقاش (أخت جذية الأبرش) . وتقول الأسطورة إن رقاش حملت بعمرو بن عدي ، أحد ندمان جذية ، وذلك بعد أن أغرته بإسكار أخيها وحمله على قبول زواجهما . ويقال إن عمرو بن عدي هو مؤسس الدولة اللخمية ،

وإنه انتصر على الزباء ، وغنم كل شيء كان لها ولأبيها^(٢٣) . لكن لماذا استطارته الجن؟ وهل منحته قوة خارقة أو تميّزاً ما؟ هذا شيء لا تجيب عنه الأسطورة .

وقد استشار الملوك الكهان في بعض شؤونهم . والمعروف أن الكهان أو بعضهم كانوا يزعمون الاعتماد على الجن في معرفة الغيب . وأسطورة «سَطِيح» الكاهن مشهورة ؛ وتقول إنه قسم الملك بين أبناء نزار : مضر وربيعة وإياد وأغار ، وذلك بعد أن اشتد الخلاف في ما بينهم ، وتنبأ لكسرى بسقوط دولة الفرس بعد أن يملك منهم أربعة عشر ملكاً ، ابتداءً من مولد النبي محمد (ﷺ) . وهذا الأمر تنبأ به أيضاً كاهن آخر هو «شَقَّ»^(٢٤) .

لكن الملوك الأنبياء من بني إسرائيل يبدون أهم بكثير من الجن وملوكهم ، وسبب هذا أن الأساطير المتعلقة بملوك اليهود هي ، في أغلبها ، من الإسرائيليات ، وترمي إلى تمييز بني إسرائيل وتقديمهم على سائر البشر ، أو هكذا يلوح لنا . فمن ذلك أسطورة سليمان التي تؤكد أن الله آتاه في ملكه سلطاناً لا يتنوع منه شيء في برّ ولا بحر ، وإنما يركب إذا ركب ، على الريح . وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح ، وآتاه النبوة وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده . وكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه ، أحاطت به الطير ، وقامت له الإنس والجنّ حتى يجلس على سريريه ، فيوضع له ستمئة كرسي ، ويحيي أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، وأشراف الجنّ فيجلسون مما يلي الإنس - لنلاحظ أن الإنس ، وهم على الأرجح أشراف بني إسرائيل ، يتقدمون الجنّ - ثم يدعو بالطير فتظلمهم ، وبالريح فتحملهم سائرة في الغداة الواحدة مسيرة شهر . وبينما هو يسير بين السماء والأرض إذ أوحى الله إليه : إني زدت في ملكك ، وإنه لا يتكلم أحد من الخلائق إلا جاءت به الريح وأخبرتكم .

وكان سليمان ، كما تقول الأسطورة ، رجلاً كثير الغزو ، لا يكاد يقعد عنه ، ولا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا آتاه وأذله - لنلاحظ الميل العدوانية ، ومحاولة إظهار التفوق - وكان إذا أراد ذلك أمر بعسكره فضرب له نجش ، ثم نصب له سرير عليه ، ثم حمل على الخشب الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى إذا جعل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته ، حتى إذا ارتفعت به ، أمر الريح الرخاء فهوت به إلى حيث يريد . وكان امتداد عسكره مئة فرسخ (أي مليون ذراع ، أي نحو سبعمئة كيلومتر) . خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير . وكان له ألف بيت من زجاج على الخشب ، فيها ثلاثمائة زوجة صريحة (أي خالصة النسب) ، وسبعمئة سرية (فهو أشبه بأزواج الحور العين في الجنة من حيث كثرة الزوجات)^(٢٥) ؛ إنه إذن مميّز من سائر الأنبياء . وكان يحرسه اثنا عشر ألف فارس ، وكان عدد مركباته البحرية ألفاً وأربعمئة .

ومن انتصر عليهم سليمان ملك صيدون الذي لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر . وقد أصاب إحدى

بناته ، واصطفاها لنفسه ، وتقول بعض الروايات إنه تزوّج بلقيس ملكة سبأ^(٢٦) .

ومع أنّ هذا الملك كان نبياً ، فإنّه يبدو أشبه بآلهة اليونان ، مع الفرق أنّ الله آتاه الملك وسخر له ما سخر ، في حين أنّ تلك الآلهة كانت تملك قوى ذاتية . ومن المؤكد أنّ العرب أخذوا هذه الأسطورة من سفر الملوك الأول في التوراة ، ولا سيما الإصحاح العاشر .

لكن هذه الصورة المميزة للملك بني إسرائيل ، تتناقض في القصد الإعلامي ، مع بعض الحكايات الإسلامية المتأخرة . ومن تلك الحكايات أسطورة صوفية تزعم أنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان جبّاراً يكره الفقراء ، حتى أنّه بعث إلى المدينة منادياً يوعد المتصدّقين بقطع أيديهم . وقد قطع ، فيما قطع ، يدي امرأة صالحة ورجليها ، إلّا أنّ جبريل هبط إلى هذه المرأة وردّها إلى جسدها ما قطع منه ، فقامت تمشي بإذن الله ، وبركة الصدقة^(٢٧) . ولا شك أنّ الأثر الإسرائيلي غائب عن هذه الأسطورة ، وقد حلّ محله الأثر الإسلامي الذي يُرجع صدى العداوة بين اليهود والمسلمين ، وآثار تلك الحملة اندعاوية ضد بني إسرائيل .

المهم أنّ الملوك كانوا يراوون بين الألّهانية والقدسية ، لكن الغريب أنّ القدسية كانت تبدو أحياناً ، وخاصة في قصص اليهود ، أعظم من الألّهانية ، ربما لأنّ الملك فيها يبدو مستمداً قوته من الله ربّ الأرباب ، فهو إذن أقوى من الأرباب جميعاً إذا شاء له الله ذلك .

٢) عبادة الأجداد

وإذا كان الجدّ هو سيد القبيلة الأقدم ، والسيادة نوع من الحكم يتناسب مع العصر الجاهلي ، وإذا كانت الملكية هي غاية العصبية (أي الجماعة من أهل العصب الواحد) في رأي ابن خلدون^(٢٨) ، حتى إن كثيراً من سادة القبائل تحولوا إلى ملوك ، فأغلب الظن أنّ عبادة الملوك امتداد لعبادة الأجداد . إلّا أنّ محمد عبد المعيد خان يؤكد أنّ عبادة الأجداد لا تتفق مع عقلية العرب وتقاليدهم ، فهم لم يرفعوا سدنة البيت إلى درجة الآلهة ، ولم يقدّسوا آباءهم وأمهاتهم^(٢٩) . وهذا تأكيد قد لا يثبت أمام البحث ومراجعة أسماء الآلهة الجاهلية في النصوص الإسلامية والكتابات القديمة .

ويخيّل إلينا أنّ الجاهليين نظروا إلى الأجرام السماوية المؤلّهة نظرة أسرية ، وأوحوا بوجود علاقة أبوة أو عمومة بينها وبينهم . فقد عومل القمر ، وهو الإله الذكر ، معاملة الأب في الكتابات ، فسمي عند الجنوبيين « أم » ، ونعت بالودود « ودم » ، ودعاه القتبانيون « العم » ، والعمومة على ما هو معروف دلالة على النسب العصبي عند العرب الأقدمين . وقد استنتج بعض المستشرقين أنّ أهل الجنوب عبدوا ثلوثاً هو : القمر الأب ، والشمس الأم ، والزهرة الابن (الزهرة في الكتابات هي « عثر » ، وهو مذكّر)^(٣٠) . والظاهر أنّ هؤلاء الجنوبيين وحدّوا بين الإله والجدّ ؛ ففي كتاباتهم نقرأ عبارة : « ود أم » أي : ودّ الأب ؛ و« ود » هو أحد

آلهتهم . كما نجد عبارة « ولد ود » و « أولد ود » أي : أولاد ود ؛ ويُقصد بهم شعب مَعِين ؛ وهذا يعني أن الإله ودَّ أبٌ لذلك الشعب . أمّا القتبانيون فيذكرون « ولد عم » ، و « عم » هو الإله القمر ، بمعنى أنهم أولاد لهذا الإله . ويشير السبئيون إلى « ولد المقه » و « المقه » هو القمر أيضاً بلهجة سبأ ، فهم يعدّون أنفسهم أولاده ، كما يستخلص جواد علي^(٣١) .

واللافت أن هناك ستة آلهة ، إلى جانب الشمس ، هي في الوقت نفسه أسماء لعدد من جدود القبائل الأعلين ، وهي : الأسد ، الأسود ، سعد ، قيس ، كعب ، هُبَل :
أما أسد ، فقد تعبّد له بعض العرب ، فسُموا « عبد الأسد »^(٣٢) ، علماً بأنَّ أسداً جدّ من جدود القبائل .

وأما الأسود ، فيُظن كذلك أنّه إله لوجود اسم « عبد الأسود »^(٣٣) ، وهو ، بعدُ ، اسم لبعض الجدود^(٣٤) ، ولجليل يقع بين نجد والحجاز ، زد على ذلك أسماء الجبال : « أسود الحمى » و « أسود الدم » ، و « أسود العُشاريات » و « أسود العين » و « أسود النسا »^(٣٥) .

وأما سعد فنجدّه في صيغة « سعدو » في كتابات النبط في البتراء ، وكتابات الصفويين في حوران ، على أنّه اسم صنم^(٣٦) . وقد وُصف في الشعر العربي بأنه صخرة طويلة^(٣٧) . ومعروف أنّ سعداً اسم لإحدى أكبر القبائل العربية ، فضلاً عن البطون . وقد أطلق هذا الاسم على جبل في الحجاز^(٣٨) .

ويستدل على ألّهانية قيس بوجود اسم عبد قيس كعلم لبعض القبائل والأفراد . ونقرأ اسمه أيضاً في الكتابات في صيغة « قسو » و « قيسو » الذي عثر على معبد له في مدائن صالح . وقد استعمل اسم قيس كعلم لعدد من جدود القبائل والبطون والأشخاص الوثنيين الجاهليين ، أما بين المسيحيين والمسلمين فوجوده نادر جداً^(٣٩) .

ويشير بعضهم إلى أنّ كعباً اسم صنم^(٤٠) ، لكنه في الوقت نفسه اسم لعدد من جدود القبائل ، ولا سيما كعب بن الحارث ، وكعب بن ربيعة ، وكعب بن سعد^(٤١) .

وغني عن الذكر أن هُبَل هو كبير أصنام الكعبة ، وهو أيضاً اسم لأحد جدود الملك زهير بن جناب^(٤٢) .

كل هذا يوحي وجود إحيائية عربية تتمثّل بعبادة الجدود سادة القبائل الأولين ، والتوحيد بين هؤلاء وبين بعض الجبال المعبودة . وأبلغ دليل على ذلك تلك الجبال التي حملت اسم « الأسود » ونُسب إليها الدم والعين وعرق النسا ، وكلها من عناصر الإنسان وأعضائه ؛ فالأنسنة هنا واضحة جدّاً . وإحيائية العرب هذه تشبه إحيائية أميركا الجنوبية ، حيث يعتقدون بأنَّ أرواح الجدود تسكن الجبال والصخور وأشياء أخرى من الطبيعة . لكننا نستدرك بأنَّ الجدود والجبال الموافقة أسمائها الآلهة ليسوا بالضرورة معبودين

جميعاً ، لكن هذه الثلاثية : (الإله / الجند / الجبل) ، وهذه الأنسنة ، تسمح بالافتراض أنها بقية ، من عبادة قديمة للجدود . تجسدهم في الجبال ، سواء أورد ذكر هؤلاء في المراجع العربية أم لم يرد .

ويسارع إلى أذهاننا ، في هذا المقام ، لقب « راعي الشمس الأكبر » الذي قيل إنه أطلق على جابر بن بُجير (أو ابن بكر ، أو ابن مجير ، أو ابن بحر)^(٤٣) . وإذا صدقت الرواية يكون جابر أحد اثنين : إما سادن صنم الشمس ، وإما ولي أمرها . والمعنى الثاني يبدو لنا الأرجح ، لوجود نعت « الأكبر » . وعلى ذلك يكون بعض الجدود المعبودين ، مثل بعض الملوك ، أكبر قدراً من الشمس .

وقد حاولت بعض الأساطير أن تؤرّخ لعبادة الأجداد عند العرب ، فروى ابن الكلبي تلك الحكاية المشهورة التي تزعم أن آدم لما مات ، وضعه أحفاده ، بنو شيت ، في مغارة من ذلك الجبل الذي أهبط إليه من الجنة إلى أرض الهند ، ثم جعلوا يزورونه ويعظمونه ويترحّمون عليه . وقد غبطهم رجل من بني قابيل على هذا الأمر . وعرض على قومه أن يصنع لهم صنماً يدورون حوله ، مثلما يدور بنو شيت حول جسد آدم ، فوافقوه . وبعد زمن مات خمسة رجال صالحين في شهر واحد ، هم : ودّ ، وسوّاع ، ويعقوث ، ويعقوق ، ونسر ، المذكورون في القرآن الكريم (سورة نوح ، الآية ٢٣) ، فجزع عليهم أقاربهم جزعاً كبيراً ، وحزنوا عليهم حزناً شديداً ، عندئذ اقترح عليهم أحد أبناء قابيل أن يصنع لهم خمسة أصنام على صور موتاهم هؤلاء لكن دون أن يجعل فيهم أرواحاً ، فوافقوا رأيه . ثم أخذوا يأتون هذه الأصنام ، ويعظمونها ، ويسعون حولها ، واستمروا يزيّدون في إعظامها قرناً بعد قرن ، حتى عبدوها . ثم كان الطوفان ، فجرف هذه الأصنام إلى أرض جدّة ، فحملها الكاهن عمرو بن لُحيّ إلى مكة ، ودعا العرب قاطبة إلى عبادتها^(٤٤) .

هذه الرواية تردّ عبادة الأصنام عند العرب جميعاً إلى عبادة الجدود ، لكننا لا نستطيع أن نعوّل عليها في البرهان على وجود عبادة الأجداد عند العرب ، وإن كنا لا نستطيع في الوقت نفسه أن ننفي أهميتها في هذا الشأن لكون مثل هذه الرواية - كما قدّمنا - مهما عبث بها الاختراع ، تتصل بإرث ثقافي قديم يؤيد حقيقته ما ورد في الكتابات .

٣) الدور السياسي للمعبودات

لا غرو إذن أن يكون للأصنام دور سياسي في العصر الجاهلي ، يشبه دور الأرباب أو القديسين في أيامنا هذه ، وأن يبدو الانتماء إليها أشبه بالانتماء الطائفي في هذا العصر ، لأنّه ينح عابديه هوية إيديولوجية مميّزة . وليس أدلّ على ذلك مما ورد عن « الحُمس » و « الحِلّة » . فالحُمس ، كما هو معروف ، قریش وما ولدت من قبائل ؛ أي من كانت أمهاتهم قرشيات ، فكانوا على دين قریش . والحلة من لم يكونوا كذلك^(٤٥) . وإذا عرفنا أن « الحُمس » (مفرد « حُمس ») مرادف « حَرَم »^(٤٦) ، وأنّ الكعبة كانت تسمّى « الحمساء » بسبب لون أحجارها الأبيض الضارب إلى السواد ، وأنّه قيل إنّ « الحُمس سكان الحرم ، وكانوا لا يخرجون أيام الموسم

إلى عرفات ، إنما يقفون بالمزدلفة [...] ، وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من ساكني الحرم ، لأن أهمهم قرشية [...] ، وخزاعة لأنهم كانوا من سكان الحرم فخرعوا عنه أي أخرجوا »^(٤٧) ، أدركنا وجود رابط متين بين « الحمس » والكعبة ، وأن هؤلاء اكتسبوا اسمهم من بعض صفاتها ، واكتسبوا ، بالنتيجة ، قدسية خاصة جعلت الجاهليين ينسبون إليهم قدرة خارقة هي أنهم لا يوتون في القتال^(٤٨) ، وأتاحت لهم أن يفرضوا نوعاً من الحلف السياسي الديني على أصهارهم ، يكونون هم زعماءه . وبكلمة ، إن الكعبة التي هي مجمع الأصنام منحت قریش هوية دينية سياسية مميزة . ولعل هوازن - وهي من قيس عيلان ، وهؤلاء من الحلة - حين اقتحمت الحرم في يوم الفجار الثاني^(٤٩) ، كانت تريد ضرب هذا الحلف وترزع تلك الأسطورة السياسية الدينية التي سمحت للقرشيين بأن يترفعوا على « أهل الحِلِّ » ، أي الغرباء عن مكة ، ويجعلوا من أنفسهم طبقة عليا مميزة ، ويجبوا من « الحِلَّة » عن طريق السيطرة الدينية ، ضرائب غير مباشرة تتمثل في فرض ارتداء الألبسة المكية في الطواف ، سواء بالاكتراء أم بالشراء^(٥٠) . ولا شك أن الأمر قد هال قریش وأهملها ، فلجأت إلى التحصن ، على ما يبدو ، بقوة غيبية ، مُطلقة على ذلك اليوم اسم « الفجار » ، دلالة على انتهاك الحرمات ، وذلك من أجل أن تهز مشاعر العرب ، ولا سيما حلفاءها ، وتجمعهم حولها لينصروها ويحافظوا على مكائنها ، ويثبتوا ذلك الحلف المقدس : « الحمس » . ولعل هذا ما يفسر دعاء أبي سفيان ، يوم أحد : « أَعْلُ هُبْل ، أَعْلُ هُبْل ! » ، وردَّ عمر بن الخطاب عليه . بأمر من الرسول : « الله أعلى وأجل » . وقد جرى ذلك ، ليس لأن هُبْل ذكر أراد أبو سفيان أن يدعو به « ليتحاشى سخرية محمد من قریش الذين بوأوا الربّات الإناث مكاناً رفيعاً في مجتمع الآلهة » ، كما ظنَّ توفيق فهد^(٥١) ، بل لأن هُبْل أعظم أصنام الكعبة على الإطلاق ، وبالتالي أعظم رموز « الحمس » الدينية ؛ ولذلك وضع المسلمون الله يازائه ، كرمز لقوتهم الدينية . وإذا كان الإسلام هو دين الله وحكم الله ؛ فإننا نستطيع أن نقول بصورة من الصور : إن « الأحسية » دين أصنام الكعبة ، ولا سيما هُبْل .

لكن الأمر يستحق قليلاً من التوقف . فقد كان الله يُبَدِّ في الجاهلية ، وقد صرح القرآن بأن الذين اتخذوا أولياء (أي أرباباً) من دون الله إنما كانوا يعبدونهم ليقربوهم . إلى الله^(٥٢) . وحين يدعو أبو سفيان « هُبْل » إلى العلو . فهو يتوجّه إلى من يزدلف به إلى الله ؛ وإلا . فما معنى ردَّ عمر بأن « الله أعلى وأجل » ، وهو يعرف أن أبا سفيان يؤمن بذلك ؟ أفكان أهل الجاهلية يرون الألهانية كمّاً مقسماً على الأصنام ، كل بمقدار أهميته . فتحظى كل قبيلة بقسطها من القوة الغيبية وفاقاً لأهمية صنمها . ويكون مجموع هذه المقادير هو ألهانية الله ؛ حتى إذا جاء الإسلام رفض هذه القسمة . واتجه إلى الإله الواحد المستأثر بالألهانية الكلية ، والذي لا يحتاج إلى وسيط . فهو أقوى من الأصنام التي ربّما عدّها الجاهليون ذات ألهانية جزئية ؟ هذا محتمل .

الذي يعيننا من كل ذلك ، على أي حال . هو أسطورة الصنم / الرمز (رمز القبيلة والمدافع عنها في

الحرب). وهذا لا بدّ أن يعيدنا إلى علاقة الأصنام بالملوك والجدود ، وبغرينا بالظنّ أن الصنم كان العنصر المقدس من القبيلة ، وأنّه بشكل من الأشكال عمّقها الزمني المؤرّخ لبدئها واستمرارها ، والمشير إلى بضعة إلهية فيها . ولعل فكرة « أبناء الله » في بعض الأديان السماوية ترجع إلى مثل هذه العلاقة . يقال : ولكن الدين الجاهلي كان دين طقوس ، بل إنّ الدين حُصِر بالأديان السماوية الثلاثة ، ونُفِيت عنه الوثنية^(٥٣) ؛ فالوثنية تعتمد على عقيدة سطحية ، لا سيما وأنه كان من السهل على بعضهم أن يأكل صنمه المصنوع من التمر ، أو يشتم صنماً لم يجرّضه على الثأر بأبيه (قصة امرئ القيس) ، فكيف نسمح لأنفسنا أن ننسب إلى الجاهلي الاعتقاد بوجود شيء إلهي في ذاته؟ بعض هذا الاعتراض صحيح ؛ فالجاهلي لم يكن صاحب فلسفة دينية ، إذا صحّ التعبير ، بل كان على العكس من ذلك يملك شتاتاً لا نظام له من الأفكار ، أدّى إلى تلازم طقوسه مع الحاجات الاقتصادية والسياسية ، كما في طقوس الحجّ والطواف . لكن ذلك لا يعني أنّه كان خلواً من فكرة عن الإله ، وإلاّ فكيف آمن بالله وأضاف إليه صفات قريبة من الصفات التي ينسبها إليه الإسلام ، وكيف آمن بأله مثل القمر ، أضفى عليها كما تنصّ الكتابات ، قريباً من تلك الصفات المومأ إليها : كالودود ، والقادر ، والحكيم ، والسميع ، والعليم ، والبصير ، والنور ، والرحيم ، والعظيم ، والكبير والذي ليس له ولد ... إلخ^(٥٤) . وأخيراً كيف عبد الملوك والجدود؟ إنّ هذه المعطيات تدلّ على فكر ديني متقدّم ، وتفكير بالذات الإلهية ، وهي سند للفرضية التي قدّمنا .

ربما من أجل هذا كان الاحتاء بالصنم ، والحزن عليه عند أسره ، والسعي لاسترداده ؛ فهو - في أغلب الظن - الزعيم القديم المقدس للقبيلة ، فإذا أُسر أو تحطّم آذن بانتهاء القبيلة كلها ، كأنّ زعيمها قد أُخذ أو قُتل ، وكأنّ العنصر إلهي من القبيلة الذي يحميها قد ذهب .

والاحتاء بالصنم لم ينحصر في قريش ، أو في عرب الشمال عامة ، بل يبدو أنه تعدّاهم إلى سائر العرب وإلى جيرانهم . وننعث الذاكرة هنا بما روي عن الصنم « يغوثة » الذي سبق ذكره ، والذي يبدو أنّه كان من الجدود المؤلّهيّن ؛ فالظاهر أن عابديه كانوا شديدي الإيمان بقدرته على إغاثتهم ونصرهم على أعدائهم . ويقال إنّ قبيلتي « مراد » و« أعلى » تنازعتا هذا الصنم ، وتقاتلتا من أجل الاستئثار به ، وذلك في تاريخ يوم بدر نفسه (٨ أو ١٢ رمضان ، السنة الثانية للهجرة)^(٥٥) ، ثم تقاتل عليه « بنو أنعم » و« بنو غطيف » ، فهرب « بنو أنعم » إلى نجران حيث لجأوا إلى قبيلة « الضباب » . وقد قال الشاعر في هذا الصنم :

وسارَ بنو يَغُوثُ إلى مُرَادٍ فَتَاجَزَنَاهُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ^(٥٦)

والملاحظ أنّ القبيلة التي كان فيها « يغوثة » هي التي انتصرت ، والشعر يوحي كأنّ هذا الصنم هو الذي قاد القوم . والأهمّ أنّ القبائل كانت تحرص على أصنامها ولو أداها ذلك إلى الحرب أو إلى الزواج عن

مواطنهم . كما كانت القبائل أو البطون المتنافسة تحاول أن تثبت زعامتها بحيازة صنم القبيلة أو البطن الأضعف .

ونذكر في هذا المجال الصنم « يَعود » الذي يبدو الوجه الآخر للصنم « يَعود »^(٥٧) .

وحين حارب سنحريب الأعراب قيل إنهم حملوا عدداً من أصنامهم إلى المعركة ، لكنهم هزموا ، واستولى ملك آشور على تلك الأصنام . فما كان للأعراب إلا أن ينتظروا موت هذا الملك ، ويسترضوا ابنه أسرحدون بالهدايا لكي يرقّ لهم ، ويرجع إليهم أصنامهم . وقد حدث ذلك غير مرة ، من غير أن يفوت الآشوريين أن يسجلوا على الأصنام كتابات يفخرون فيها بوقوعهن في الأسر ، وابتصار آلهة آشور عليهن^(٥٨) .

ويؤكد روبرتسن أن نَبَذَ الفرد إله قومه كان يعني نبذَ قبيلته وخروجه على إجماعها . لكن لم يكن بوسعه أن يصنع ذلك إلا إذا قرر الخروج من القبيلة . وروبرتسن يشبه تبديل الصنم عند الساميين القدماء بتبديل الجنسية في العصر الحاضر . مشيراً إلى أن من كان يفعل ذلك كان عرضة للعقوبة^(٥٩) . وهذا القول نستطيع أن نطبّقه بسهولة على العرب . بدليل أن المسلمين عُدوا صابئين في نظر الوثنيين ، وذلك لأنهم تركوا عبادة الأصنام ؛ والصابئة هوية جديدة رفضها عمر بن الخطاب وانتسب إلى هوية أخرى هي الإسلام^(٦٠) .

وخلاصة القول إنّ العرب - على ما يرجح عندنا - عبدوا الملوك والأجداد وكانت عبادة الملوك عندهم امتداداً لعبادة الأجداد . وقد تميّزت العبادتان عندهم بتقديم الملوك والأجداد أحياناً على الأجرام المعبودة ، وبإحيائية محتملة توحد بين هؤلاء وبين الأجرام السماوية ، أو الجبال . وقد منحوا بعض أصنامهم صورة ملك ، وجعلوا للملوك ميزة عجائبية هي أنّ دماءهم تشفي من الجنون والكلب ، كما أنهم نقلوا المجتمع الملكي إلى العالم الأسطوري الغيبي المتمثل في الجانّ . ومن اللافت أنّ الأساطير تجعل بعض الملوك الأنبياء أعظم من الملوك المؤلّمين ، والسبب في ذلك - على ما يبدو - تلك الحملة الدعائية التي تحاول إعظام اليهود من خلال الروايات الإسرائيلية ، أو تحقيرهم من خلال الروايات الإسلامية . ومتى كانت هذه الصلة بين الآلهة وبين الأجداد قائمة ، فلا غرابة في أن يصبح الصنم هويةً لعبديه ، وفي أن يكون سبباً في نشوء حلف سياسي ديني كالحُمس ، يجعل أهله بمثابة الشعب المختار الذي يملك امتيازات غيبية لا تنبغي لغيره ، وفي أن يُعدّ رمزاً للقبيلة وحامياً لها ، وكأنه الزعيم القديم المقدّس ، أو العنصر الإلهي من القبيلة يهبها نوعاً من الحصانة والمناعة يازاء الأعداء ، ويؤكد زعامتها على البطون القريبة الصلة بها .

الحواشي

A. Krappe, *Genèse des Mythes*. (Paris, 1952), p. 58.

(١) أنظر :

وكان الرومان مثلاً يعتقدون أن أول ملوك روما كان ابن زنا ، نتج عن زواج مارس بأميرة لاتينية . وكان ملوك الفرنجة القدماء Les

(Mérovingiens) يردّون أصلهم إلى أحد آلهة البحر الذي سبى إحدى ملكاتهم.

- (٢) أنظر: الحيوان، للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ١: ١٨٧ - ١٨٨، ٢: ١٩٦ - ١٩٧. وقد ذكر الجاحظ أنّ الأعراب يزعمون أنهم يناكحون الجنّ، وأنّ من هذا النّساج «بني السّلاة» من يربوع؛ كما زعموا أنّ جرّهم نتاج آباء من الملائكة وبنات من بنات آدم. وانظر: مروج الذهب، للسعودي، فهرسة يوسف أسعد داغر، (دار الأندلس، بيروت، ١٣٩٣/ ١٩٧٣)، ص ٤٩ - ٥٠؛ وقصص الأنبياء لأبي إسحاق النيسابوري (الثعلبي)، (المكتبة الثقافية، بيروت، د. ت) ص ٢٧٨.
- (٣) انظر: بلوغ الأرب، لمحمود شكري الآلوسي، (القاهرة، ١٣٤٢)، ٢: ٢٣٢ - ٢٣٣؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجواد علي، (بيروت، ١٩٧٠)، ٦: ٧٠٩ - ٧١٠؛ وقارن بكتاب صاحب هذا المقال: من الأساطير العربية والخرافات، (دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠)، ص ١١.
- (٤) آثرنا استخدام المصدر. الصناعي الألّهانية دون الألوهة والألوهية، لأن اللغويين يجعلونها بمعنى الربوبية، خلافاً للألوهة والألوهية المستخدمتين بمعنى العبادة (انظر لسان العرب، مادة: اله).
- (٥) أنظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣)، ص ٤٧٥ - ٤٧٦؛ ولسان العرب (مادة: رب). ومعنى البيت: أنّ المنذر هو الربّ والشاهد على معركة يوم الحِيارَيْن. وهو أفضل البرية اضطلاعاً بالأمر، وليس له نظير.
- (٦) أنظر كتاب صاحب هذا المقال: صناجة العرب الأعشى الكبير، (دار الطليعة، بيروت ١٩٧٧)، ص ٩١.
- (٧) أنظر: الأغاني، (دار الكتب)، ١١: ٨٢؛ والمفصل، لجواد علي، ٤: ٥٩.
- (٨) أنظر: لسان العرب (مادة: ملك)، وقارن بالمفصل ٦: ١٧٢.
- (٩) أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، (مادة: عرش، ومادة: كرسي).
- (١٠) أنظر: تاريخ الطبري، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧)، ١: ٤١.
- (١١) أنظر: المفصل، ٦: ١٧٢.
- (١٢) أنظر: لسان العرب (مادة: ايل).
- (١٣) أنظر: المفصل، ٦: ٢٩٤.
- (١٤) المرجع نفسه، ٦: ١٧٢.
- (١٥) أنظر: كتاب الأصنام، لابن الكلبي، تحقيق وهيب عطا الله، (باريس، ١٩٦٩)، ص ٢٩، ٤٤؛ وانظر: T. Fahd, *Les Panthéon de l'Arabie Centrale*, (Paris 1968), p. 61, sp.
- والمروة: حجر صلب تُتدح منه النار (أنظر: لسان العرب، مادة: مرو).
- (١٦) أنظر: الحيوان ٢: ٥ - ٨، والأغاني، (دار الكتب)، ١٥: ٣١٨.
- (١٧) أنظر: المفصل ٢: ٤٨٧.
- (١٨) CF. Krappe, *Genèse*, pp. 90-91.
- (١٩) أنظر: الأغاني، (دار الكتب)، ٨: ٩١.
- (٢٠) أنظر: لسان العرب (مادتي: عبد، وشمس).
- (٢١) أنظر: لسان العرب (مادة: شمس).
- (٢٢) أنظر: تاريخ الطبري ١: ٤٩٤ - ٤٩٥.
- (٢٣) أنظر: الأغاني، (دار الكتب)، ١٥: ٣١٢ - ٣٣١.
- (٢٤) أنظر: من الأساطير العربية والخرافات، ص ١٢٦ - ١٢٨.
- (٢٥) المرجع نفسه، ص ٩٣ - ٩٤.
- (٢٦) المرجع نفسه، ص ١١٧، وما بعدها، ١٣٥ وما بعدها.
- (٢٧) أنظر: مختصر روض الرياحين في منابت الصالحين، للياضي، (القاهرة، ١٣٣٤ هـ)، ص ١٠١ - ١٠٢.
- (٢٨) أنظر: مقدمة ابن خلدون، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٢٤٤ - ٢٤٦، حيث يوضح ابن خلدون أنّ العصبية الواحدة تظل تشغل على سائر

- العصبيات، حتى تكافىء بقوتها قوى الدولة، فيحصل للقبيلة الملك.
- (٢٩) أنظر: الأساطير العربية قبل الإسلام، لمحمد عبد المعيد خان، (مصورة تحت عنوان: الأساطير والخرافات عند العرب، بيروت، ١٩٨٠)، ص ٩٦ - ٩٧.
- (٣٠) أنظر: المفصل ٦: ٥٣ - ٥٧، ١٧٥.
- (٣١) المرجع نفسه، ٦: ١٦٨.
- (٣٢) أنظر: الأغاني، (دار الكتب)، ١٥: ٢٠.
- (٣٣) أنظر مثلاً: تاريخ الطبري، ٢: ٤٤٥، ٣: ٣٥٤ - ٣٥٥.
- (٣٤) أنظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩)، ص ٢٨٨.
- (٣٥) أنظر: معجم البلدان، لياقوت، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٩)، ١: ١٩٢ - ١٩٣.
- (٣٦) أنظر: المفصل ٦: ٢٧٤، وأيضاً:
- (٣٧) أنظر: معجم البلدان، لياقوت، ٣: ٢٢١.
- (٣٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (٣٩) أنظر رسالة صاحب المقال: *L'Epoque Jâhilité à travers le Kitab al-Aghani*, (Paris 1973), pp. 179-180.
- (٤٠) أنظر: المفصل ٦: ٢٨٩.
- (٤١) أنظر: الأعلام، للزركلي، المواد التي تبدأ بـ «كعب».
- (٤٢) أنظر: الأغاني، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)، ١٩: ٢٤.
- (٤٣) الأغاني، (دار الكتب)، ١٥: ٣٢٣.
- (٤٤) أنظر: كتاب الأصنام لابن الكلبي، (دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤)، ص ٥٠، وما بعدها.
- (٤٥) أنظر: الأغاني (دار الكتب)، ١١: ١٤٦ - ١٤٧، ولسان العرب (مادة: حمس، حلل).
- (٤٦) أنظر: الأغاني، (دار الكتب)، ٣: ١٢٤.
- (٤٧) أنظر: أخبار مكة، للأزرقي، تحقيق رشدي ملحس، (دار الأندلس، بيروت)، ١: ١٧٦ - ١٨٢، ٢: ١٩٥، ولسان العرب (مادة: حمس)، والقاموس المحيط (مادة: حمس).
- والواقع أن الفيروز آبادي يقول: «حَمَسٌ: اشتد وصلب في الدين والقتال، فهو حَمَسٌ وأحمس، وهم حُمَسٌ، والحُمَسُ الأمكنة الصلبة (جمع أحمس)، وهو لقب قریش وكنانة وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحَمَسهم في دينهم، أو لالتجائهم بالحمساء، وهي الكعبة، لأن حجرها أبيض إلى السواد». وقد جعل الأزرقي في مكان «أحمس» أحمسي.
- (٤٨) أنظر: الأغاني، (دار الكتب)، ١١: ١٤٧ - ١٤٨.
- (٤٩) راجع: الأغاني، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٢: ٦٠.
- (٥٠) أنظر المراجع في الحاشية (٤٧).
- (٥١) Cf. *Panthéon*, p. 97.
- والواقع أن أبا سفيان عاد فصاح: «لنا المرزى ولا عزى لكم»، كما يؤكد فهد في الاقتباس السابق، والمرزى إلهة أنثى.
- (٥٢) أنظر: سورة الزمر: الآية ٣، وفيها: «والذين اتخذوا من دونه أولياء، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى».
- (٥٣) أنظر رسالة صاحب المقال السابقة، ص ١٢٢، وانظر أيضاً:
- (٥٤) أنظر رسالة صاحب المقال السابقة، ص ١٨١، وما بعدها، والمفصل ٦: ١٧٥ - ١٧٨.
- (٥٥) أنظر: السيرة، لابن هشام، تحقيق السقا والأبياري والشلي، (تراث الإسلام، القاهرة، د. ت.)، ١: ٦١٢، ومعجم البلدان ١: ٣٥٧.
- (٥٦) أنظر: معجم البلدان ٥: ٤٣٩، وانظر أيضاً:
- (٥٧) Cf. *Panthéon*, 194.
- (٥٨) أنظر: المفصل ٦: ٦٢ - ٦٤.
- (٥٩) المرجع نفسه، ٦: ٦٥.
- (٦٠) أنظر: الأغاني، (الهيئة المصرية العامة)، ١٧: ٥٩، وقارن بالمفصل ٦: ٧٠٣، ٧٠٤.